أخبار الخليج

العدد (17566) – السنة الحادية والخمسون – الإثنين 10 ذو القعدة 1447هـ – 27 أبريل 2026م

الإدارة الأمريكية ومأزق حرب بلا استراتيجية!

بقلم:
د. مروان المعشّر ○

مع عدم وضوح الوضع النهائي للحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران، لا تزال المحصلة النهائية لهذا الصراع غامضة. فبين تصريحات الرئيس الأمريكي ترامب الأولية، التي زعم فيها عدم نيّته تغيير النظام الإيراني، وتصريحاته الأخيرة التي تماهى فيها مع الموقف الإسرائيلي الداعم لتقويض النظام، بل تغييره، لا يبدو أن لدى الإدارة الأمريكية استراتيجية واضحة، ليس فقط لإنهاء الحرب، بل أيضًا لإرساء السلام في المنطقة. ويبدو أن هذا التخبّط يتّجه نحو مزيد من العنف وعدم الاستقرار في المرحلة المقبلة.

يعلّمنا التاريخ ما الذي يمكن أن يحدث في ظلّ غياب استراتيجية مدروسة، أو إدراك واضح للخطوات التي ينبغي اتخاذها أو تجنّبها إذا كان الهدف إرساء قواعد راسخة للاستقرار والازدهار في المنطقة، لكنّ قلّةً نادرة من الدول تتّعظ بدروس الماضي.

لنأخذ عام 1991 مثالًا صارخًا على ذلك، ففي ذلك العام، وبعد أن بنت الولايات المتحدة تحالفًا دوليًا أخرج العراق من احتلاله للكويت، أدرك الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب آنذاك أن وجود قوات أمريكية وغربية في المنطقة تحارب دولة عربية، سيقابل باعتراض واسع من الشعوب العربية، لذلك أتبع حرب الخليج الأولى بجهد سياسي كبير هدفه احتواء هذه المشاعر، ومحاولة إنهاء التوتّر الناجم عن الصراع العربي الإسرائيلي.

وبناءً على ذلك، قادت الولايات المتحدة ما أصبح يُعرف بعملية مدريد للسلام، إذ ضغطت على إسرائيل والجانب الفلسطيني، إضافةً إلى الأردن وسورية ولبنان، للجلوس حول طاولة المفاوضات، ومحاولة التوصّل إلى حل شامل للقضية الفلسطينية.

وبغضّ النظر عن إخفاقات هذه العملية لاحقًا، فقد أعطت، ولو فترة قصيرة، أملًا بإمكانية التوصّل إلى حل سياسي للصراع. في غضون ذلك، قرّرت الإدارة الأمريكية عدم التوجه إلى بغداد لتغيير النظام العراقي، ودعت الشعب العراقي إلى تغيير نظامه بنفسه، تمامًا كما يدعو ترامب اليوم الشعب الإيراني إلى انتفاضة ضد نظام الملالي. ولكن عندما اندلعت الانتفاضة في جنوب العراق، لم يجد الثائرون من يساندهم، فتمّت تصفية أعداد كبيرة منهم على يد نظام الرئيس الراحل صدام حسين.

لقد بقي صدام حسين في الحكم اثني عشر عامًا بعد ذلك، إلى أن شنّت الولايات المتحدة حربًا جوية وبرية ضد العراق في عام 2003، وتمّت إطاحة النظام العراقي بحجة امتلاكه أسلحة دمار شامل، وهي حجة ثبُت لاحقًا عدم صحتها. وقد نتج من حل الجيش العراقي وحزب البعث فراغٌ سياسي وأمني كبير، لا يزال العراق يعاني منه حتى اليوم.

بمعنى آخر، فإن إضعاف الأنظمة، أو تغييرها من دون وضع خطة واضحة لما سيأتي بعدها يؤدّي في كثير من الأحيان إلى الفوضى بدلًا من الحرية.

نعيش اليوم لحظةً تشبه ما حصل في العراق في عام 1991، لا لحظة مدريد 1991، إن أردنا استخلاص دروسٍ من ذلك العام.

فبينما يريد الرئيس الأمريكي وضع شخصية موالية للولايات المتحدة والغرب على رأس النظام الإيراني، وبينما تدعم إسرائيل عودة نجل شاه إيران السابق إلى الحكم، يبدو هذا السيناريو أقرب إلى التمنيات منه إلى الواقع. فإيران ليست فنزويلا، وهي نجحت في بناء نظام يقوم على الحرس الثوري والمؤسسة الدينية، وهو نظام متجذر في الداخل الإيراني، ولن يتغير بمجرّد استهداف رأسه. وعلى الرغم من إقدام الولايات المتحدة وإسرائيل على قتل عدد من القيادات الإيرانية، لا يزال النظام باقيا حتى الآن. وكما رأينا في عام 1991، فإن السيناريو الأرجح قد يكون بقاء النظام مع صعود شخصية من داخله لقيادة إيران، ضعيفة ومعزولة.

لقد ارتكبت إيران خطأً فادحًا عندما قامت باعتداءات ليس فقط على منشآت عسكرية في دول الخليج العربي، بل منشآت مدنية أيضًا، وهو ما سيقضي على أي فرص لتعايش خليجي إيراني في المستقبل القريب، وسيزيد من عزلة إيران الإقليمية والدولية.

وبالطبع، لا يُعدّ هذا دفاعًا عن النظام الإيراني، الذي بالغ في التدخل في شؤون المنطقة وقمع معارضيه في الداخل، بقدر ما هو دعوة إلى التعلم من دروس الماضي. فتغيير الأنظمة في ظلّ غياب خطة واضحة لما بعدها يؤدّي غالبًا إلى الفوضى والاضطراب. وهذه أيضًا ليست لحظة مدريد 1991. فليس لدى الرئيس الأمريكي ترامب أي خطة جدية لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، ولا يبدو أنه يملك رغبةً في إطلاق مشروع سياسي حقيقي لتحقيق ذلك.

في المقابل، تمتلك إسرائيل خطة واضحة تقوم على إبقاء المنطقة منقسمة، والعمل على تحقيق أهدافها التوراتية بضمّ الضفة الغربية، والقضاء على أي فرصة لحل سياسي للقضية الفلسطينية. بعبارة أخرى، فإن الواضح من أهداف هذه الحرب، ولو على المدى القصير، هو محاولة فرض أجندة وأهداف إسرائيل، التي تتمتّع بقدرات عسكرية كبيرة في المنطقة، لكنها تفتقر إلى مشروع سياسي يضمن قبولها بشكل مستدام في محيطها، خصوصًا في ظلّ معضلتها الديموغرافية المتمثلة بوجود أغلبية فلسطينية داخل الأراضي التي تسيطر عليها.

وإذا كان الرئيس الأمريكي ترامب يلمح إلى معركة مقبلة في كوبا، فإن إسرائيل تسعى إلى نقل معركتها المقبلة إلى الضفة الغربية، بهدف ضمّ الأرض الفلسطينية، من دون سكانها، ومحاولة التخلّص من أكبر عدد ممكن منهم. ومع غياب رادع أمريكي أو عربي، قد تمضي إسرائيل في هذا المخطّط بمنهجية وعنجهية.

وهنا نطرح السؤال: أين المشروع العربي؟ أو على الأقل أين التحرك العربي لمواجهة كل ذلك؟ فالمنطقة لا تمر بمرحلة عابرة من التوتر، بل بلحظة تاريخية تجري فيها إعادة رسم موازين القوى وحدود النفوذ.

إن إسرائيل تتحرك وفق رؤية واضحة لتكريس تفوّقها العسكري وتحويله إلى مكاسب سياسية وجغرافية دائمة، فيما يكتفي العالم العربي بالجمود وإطلاق ردود فعل باهتة.

إن التاريخ يعلّمنا أن الفراغ السياسي لا يبقى فراغًا طويلًا، إذ تملؤه القوى الأكثر تنظيمًا والأكثر تصميمًا على فرض رؤيتها. وإذا استمر الغياب العربي على هذا النحو، فلن يكون السؤال في المستقبل من يحكم إيران بعد الحرب، بل من يحدّد شكل المنطقة بأسرها.

○ وزير الخارجية الأردني الأسبق

عالم يتغير

حرب 2026..
صراع الهويات أم صراع المخططات؟!

فوزية رشيد

○ لطالما كان صراع الهويات في المنطقة العربية انعكاسا وصدى لصوت المخطط الاستعماري القديم (فرق تسد)! وهو المخطط الذي لعبت به بريطانيا العظمى طويلا في دول كثيرة استعمرتها، ورسمت بها خرائط وحدود، وبنت على انقسامات الجغرافيا فيها سيطرتها وهيمنتها الاستعمارية، وتحكمت من خلالها في صناعة خونة الأوطان بين ضفتي الدول التي خضعت لها، وبذلك كانت على أرض الواقع أكثر من حارب مفهوم الدولة الوطنية الجامعة لكل مكونات وأعراف وأديان شعوبها!

○ في المنطقة العربية عانت دولنا من محاولات كثيرة مشابهة، وحوصرت بالمخططات والأجندات التي استمرت في النهج الاستعماري القديم ذاته (فرق تسد) وإن بمنطلقات جيواستراتيجية جديدة، وصلت مع بدايات الألفية الجديدة، إلى العمل الدؤوب على تفكيك الهوية الإسلامية، لينشأ صراع الهويات الدينية والهويات العرقية والمذهبية ومليشيات، وهو الصراع الذي كان يختبئ خلف أحداث كثيرة في المنطقة، وكانت إيران بنظام الملالي «ومشروعها التوسعي لتحقيق (الدولة المهدوية العالمية) وبتسمية أخرى (مشروع أم القوى) هي التي عملت على تأجيج تلك الصراعات من خلال الهيمنة على 4 أو 5 عواصم عربية في طور التفكك حاليا، وأسهمت في زعزعة استقرار وأمن دولة عربية، وأمن واستقرار الخليج العربي ودوله كما حدث في حرب الأربعين يوماً.. على وجهه الخصوص والقابلة للتجدد بعد فشل المفاوضات في إسلام آباد! عديد من المحللين قرأوا بعض المؤشرات في هذه الحرب التي تصدت دول الخليج فيها للصواريخ الإيرانية والمسيرات عبر الدفاع بنجاح دون التورط في الحرب مباشرة، كما أرادت بعض الأطراف لتكون حرباً بين دول الخليج وإيران مباشرة، ولتتحول أحداثها إلى (حرب طائفية كبرى) تتداخل في حيثياتها المليشيات التابعة لإيران خاصة تلك التي في العراق ليدمر الجميع بعضهم فيمن أشعلوا الحرب يتفرجون! الواضح أن ما أنتجته حرب الأربعين يوماً التي بدأت في 28 فبراير 2026، هي أنها اكتشفت أوراق العداء والعدوان الإيراني ضد دول الخليج العربي التي تعرضت إلى أكثر من 85% من هجومها الصاروخي وبالمسيرات قياساً إلى ما تعرضت له «إسرائيل» التي شاركت أمريكا في الحرب عليها! وكأن إيران تريد تدمير دول الخليج معها وحيث أثبتت عدوانها على الخليج أنه كان معدا له مسبقا ومنذ عقود!

○ هي أزمة ثقة قد تطول تلك التي طالت العلاقات الإيرانية – الخليجية والعربية، واتضح أن إيران قد أثبتت أنها (تهديد استراتيجي كبير وحقيقي) سواء لدول الخليج أو دول المنطقة أو حتى على المستوى الاقليمي والدولي مع حصار مضيق هرمز! وحيث خطر نظام الملالي «رغم تفككه وانقسامه بعد الضربات الأمريكية – الإسرائيلية، هو خطر قائم ومستمر، وحتى مع القضاء عليه يترك خلفه هاجساً آخر خطيراً، وهو أن صراع المخططات بين الكيان الصهيوني وإيران، والذي يحمل في داخله صراع الهويات بين إيران ودول الخليج العربي والمنطقة العربية! قد يجعل من الحرب القائمة الأمريكية – الإسرائيلية هي حرب تفتح الطريق في النهاية لما يصرح به الكيان الصهيوني من نيات التوسع والهيمنة وإسرائيل الكبرى!! وهو ما تحدثنا عنه مراراً، وبما يجعل الهواجس الخليجية تمتلك مشروعية، وهي التي تدرك مخاطر النوايا الصهيونية التوسعية، على حساب الأرض العربية بذات القدر الذي تدرك فيه مخاطر التهديد الإيراني الاستراتيجي!

○ إن المتغيرات الكبيرة التي قد تنتج عن هذه الحرب المستمرة والتي أخذت عبر المفاوضات شكل اللا حرب واللا سلم، هي متغيرات ذات أبعاد إستراتيجية كبرى تتصل بميزان القوى في الخليج والمنطقة! بما يتعلق بالطاقة والنفط والاقتصاد والتجارة إلى جانب التحولات السياسية الجارية والتي تدفع دول الخليج العربي أثمانا باهظة من حيث تبعاتها عليها رغم التزامها حتى الآن بالموقف الدفاعي والاكتفاء بصد الهجمات والتي لن تنتهي أبعادها بنهاية هذه الحرب ما لم يتم (المواجهة الفكرية) للمشاريع والمخططات القائمة سواء الإيرانية أو الصهيونية التي ألبست كلاهما أطماعها التوسعية لباس الأساطير الدينية التي في ظاهرها ديني وفي باطنها سياسي قومي عنصري استعماري!

○ إن صراع الهويات يُراد له أن يمتد من داخل دولنا الخليجية والعربية عبر العملاء والموالين لإيران وولاية الفقيه، إلى أن يتحول إلى صراع على مسارات أخرى لإعادة تشكيل النفوذ وتشكيل الحدود، ورسم خارطة جديدة للنفوذ العالمي لمصادر الطاقة والممرات ومساحات نفوذ في العمق العربي بحيث يكون المرتكز الأساسي لها أمن الكيان الصهيوني وسياسة الدول الغربية الكبرى! وحيث إسرائيل ومشروعها التوسعي هما بؤرة رسم سياسات الولايات المتحدة والغرب، وحسب تصريحاتهم الواضحة ومنها تصريحات السفير الأمريكي «هاكابي» حول «إسرائيل الكبرى»! وفي ذلك لا فرق بين يمين متطرف أو يسار سواء في داخل أروقة الحكم في الولايات المتحدة وفي الكيان، وحيث المسيحية الإنجيلية، لها التأثير الأكبر على كل الأطراف رغم ما يبدو من خلاف أو صراع بينهما! وعليه لا بد أن نستخلص دروس الماضي لقراءة الأرضية الحقيقة التي تدور عليها وحولها الحرب الدائرة حاليا بين الأطراف الثلاثة أمريكا وإسرائيل وإيران، ويتم قسرا حشر دول الخليج العربي فيها!

القائد الاستراتيجي والتفكير في صناعة المستقبل

بقلم:
د. زكريا الخنجي.

نقول دائمًا إنه في بيئة الأعمال الديناميكية والمعقدة كما هو اليوم، أصبح التفكير والقيادة الاستراتيجية من المهارات والقدرات الأساسية التي لا غنى عنها للمؤسسات والأفراد على حد سواء. ولكن غالبًا ما يتم الخلط بين هذين المفهومين أو استخدامهما بالتبادل، إلا أنهما يمثلان جانبين مختلفين ولكنهما متكاملان لعملية تحقيق الأهداف طويلة الأمد، لذلك فإن فهم هذه الفروقات الدقيقة بينهما أمر بالغ الأهمية لتطوير الكفاءات اللازمة لدفع عجلة النمو والابتكار، وعلى ذلك دعونا نحاول توضيح تلك الفروقات بأكثر دقة.

أولاً: التفكير الاستراتيجي (Strategic Thinking)

يُعرف التفكير الاستراتيجي –ببساطة– بأنه عملية عقلية تحليلية وتوليفية، تهدف إلى استشراف المستقبل، وتوقع التحديات والفرص، وصياغة رؤى مبتكرة لتحقيق الأهداف طويلة الأمد. بمعنى آخر إنه يتجاوز مجرد التخطيط، حيث يركز على (ماذا يمكن أن يكون) بدلاً من (ماذا يجب أن يكون)، فالتفكير الاستراتيجي هو القدرة على رؤية الصورة الكبيرة، وربط النقاط، وتحديد الأنماط، وتخيل مسارات جديدة لم تكن موجودة من قبل، ربما بمعنى أنه يضع تصورا لصناعة المستقبل. لنتعرف على هذا النوع من التفكير.

خصائص التفكير الاستراتيجي؛ يتميز الأفراد ذوو التفكير الاستراتيجي بعدة خصائص رئيسية، منها:

○ الرؤية المستقبلية، وهي القدرة على النظر إلى ما هو أبعد من الحاضر وتوقع التغيرات والاتجاهات المستقبلية.

○ الشمولية، فهم كيفية ترابط الأجزاء المختلفة للمؤسسة والبيئة الخارجية.

○ القدرة على التوليف، جمع المعلومات المتنوعة والمعقدة وتحويلها إلى رؤى واضحة ومترابطة.

○ الإبداع والابتكار، توليد أفكار وحلول جديدة وغير تقليدية للمشكلات.

○ الاستباقية، اتخاذ إجراءات مبكرة للاستفادة من الفرص أو التخفيف من التهديدات قبل أن تتفاقم.

○ المرونة، القدرة على تكييف الأفكار والخطط استجابةً للظروف المتغيرة.

والتفكير الاستراتيجي ليس حكرًا على القيادات العليا؛ بل هو مهارة يمكن ويجب أن يمتلكها جميع الأفراد في المؤسسة على مختلف المستويات. وهذا يعني ببساطة أنه يمكن للموظفين – في أي مستوى إداري– فهم كيفية مساهمة عملهم اليومي في تحقيق الأهداف الكبرى للمؤسسة، ويشجعهم على البحث عن طرق مبتكرة لتحسين الأداء وخلق القيمة.

ثانيًا: القيادة الاستراتيجية (Strategic Leadership)

من جهة أخرى تُعرف القيادة الاستراتيجية بأنها القدرة على تحديد وتوضيح وتنفيذ اتجاه واضح للمؤسسة أو جزء كبير منها، مع تحفيز وتوجيه الأفراد نحو تحقيق هذه الرؤية، وهذا يتضمن مواءمة الموارد، وبناء القدرات، وخلق ثقافة تنظيمية تدعم تحقيق الأهداف الاستراتيجية. ببساطة فالقيادة الاستراتيجية هي تطبيق التفكير الاستراتيجي على مستوى المؤسسة بأكملها.

1. خصائص القيادة الاستراتيجية؛ يتميز القادة الاستراتيجيون بعدة خصائص أساسية، منها:

○ صياغة الرؤية، القدرة على تطوير رؤية مقنعة للمستقبل وإيصالها بوضوح للجميع.

○ بناء التوافق، إشراك أصحاب المصلحة وبناء دعم واسع للتوجه الاستراتيجي.

○ تخصيص الموارد، اتخاذ قرارات فعالة بشأن كيفية توزيع الموارد (البشرية، المالية، التكنولوجية) لدعم الأولويات الاستراتيجية.

○ إدارة التغيير، قيادة المؤسسة خلال فترات التغيير، والتغلب على المقاومة، وضمان الانتقال السلس.

○ تطوير المواهب، بناء فريق قوي من الأفراد ذوي التفكير الاستراتيجي والقدرة على التنفيذ.

○ المساءلة، وضع مقاييس واضحة للأداء ومحاسبة الأفراد والفرق على تحقيق النتائج الاستراتيجية.

وتتركز القيادة الاستراتيجية بشكل أساسي في المستويات الإدارية العليا والمتوسطة، حيث يكون القادة مسؤولين عن توجيه وحدات عمل كبيرة أو المؤسسة بأكملها. إنهم يمتلكون السلطة والمسؤولية لاتخاذ القرارات التي تؤثر في المسار طويل الأمد للمؤسسة.

ولكننا في الحقيقة نعتقد أنه لا يمكن فصل التفكير الاستراتيجي عن القيادة الاستراتيجية؛ فهما يمثلان وجهين لعملة واحدة. فالتفكير الاستراتيجي هو الأساس الذي تبنى عليه القيادة الاستراتيجية. فالقائد الاستراتيجي الفعال يجب أن يكون مفكرًا استراتيجيًا أولاً، قادرًا على استشراف المستقبل وتوليد الرؤى، ثم يأتي دور القيادة الاستراتيجية لتحويل هذه الرؤى والأفكار إلى واقع ملموس من خلال التخطيط والتنفيذ وتوجيه الأفراد.

فالتفكير الاستراتيجي هو (العقل) الذي يرى ويحلل وينشئ، بينما القيادة الاستراتيجية هي (الذراع) الذي ينفذ ويوجه ويحقق. وهذا يعني ببساطة أن كلاهما ضروري لنجاح المؤسسة في تحقيق أهدافها الاستراتيجية والبقاء قادرة على المنافسة في عالم دائم التغير. لذلك فإن على المؤسسات أن تعمل لتعزيز وجودهما على جميع المستويات لضمان المرونة والابتكار والنمو المستدام.

Zkhunji@hotmail.com

عندما يرحل الفنان

بقلم:
نبيلة رجب

رحيل الفنان صدمة من نوع غريب. تحزن على شخص لم تجلس معه يوما، ولم تتبادل معه كلمة، ومع ذلك تشعر أن شيئاً منك رحل معه. حين فارقت الفنانة القديرة حياة الفهد عالمنا، فهمت أن هذا الحزن ليس وهماً، إنما هو أصدق مما نتصور.

الفنان يدخل بيتك دون أن تدعوه. يجلس معك على العشاء، يحضر سهرتك، يرافق طفولتك. في البحرين كانت «الساعة سبع» طقساً لا يتأخر عنه أحد، نجتمع أنا وإخوتي أمام الشاشة وعيوننا لا تغادرها حتى تنتهي الحلقة، نبكي معاً ونضحك معاً، وكانت والدتي لا تتحرك من مكانها حتى تنتهي حلقة مسلسل «الشهد والدموع» للفنان يوسف شعبان والفنانة عفاف شعيب.

جلسنا معاً أجيالاً مختلفة أمام شاشة واحدة، كل منا يرى فيها ما يشبهه، والفنان في المنتصف لا يعلم أنه يصنع ذاكرة لن تُمحى. هذا الطقس لم يعد موجوداً، تفرّقت الشاشات وتفرّق معها الجلوس، لكن من عاش تلك اللحظات يحمل دفئها حتى اليوم.

في طفولتي جمعنا مسرح وتلفزيون الكويت بدرب الزلق وجحا وخالتي قماشة، وجمعتنا مصر بمدرسة المشاغبين والعيال كبرت وشاهد ما شفش حاجة. لم يكن أحد يسأل من أين هذا العمل، لأن الفن لا يحمل جواز سفر.

كنا نردد مقولات هذه الأعمال في بيوتنا ومدارسنا، كأنها صارت جزءاً من لغتنا اليومية. من منا لم يردد «دا أنا غلبان» بنبرة عادل إمام ويضحك؟ وأذكر حين حضرت مسرحية «السندباد البحري» الكويتية، وخرجت وأنا أردد: «ابلادنا حلو حلو بس الوطن ماله مثيل». لم تكن مجرد أغنية، بل كانت شعوراً بالانتماء زرعه فينا فنان لم يقصد أن يُلقّننا درساً. لقد دخل كل بيت عربي بلا تأشيرة، وصنع بيننا من المحبة والذاكرة المشتركة ما لم تصنعه سنوات من الكلام.

الفن يتجاوز الشاشة. في غرفتي أيام الدراسة صور لفرقة أبا وبوني إم وديميس روسوس، أحببت أغانيهم وأحببتهم، وكانوا جزءاً من يومي. أغانيهم اليوم حين أسمعها تأخذني إلى سنوات المدرسة وشقاوتها، لتلك التحديات والأسئلة التي كانت تملأ رأسي، إلى طريقة تفكير كنت أظنها الحقيقة الوحيدة في العالم.

رحل ديميس روسوس، وتوقفت أبا عن الغناء سنوات طويلة، لكن أغانيهم لا تزال تملأ المكان حين تُعزف، كأنهم لم يغادروا. الفنان يصنع وعاءً تحفظ فيه لحظة من عمرك، وحين تفتحه بعد سنوات تجد نفسك كاملة بداخله. الفنان يزرع نفسه في ذاكرتك دون أن يقصد، ويبقى حتى بعد أن يرحل.

المبدع الحقيقي يُرسّخ القيم فيك وأنت مشغول بالمتعة. تشاهد شخصية تخطئ فتتألم معها، تراها تتسامح فيتسع صدرك، تراها تحب وطنها فتشتاق أنت إلى الانتماء. هذا تعليم من نوع آخر، يدخل من باب القلب ويسكنه قبل أن يصل العقل. الفنان يجعلك تعيش التجربة بدلا من أن تسمع عنها، وما تعيشه يبقى. ولهذا بالضبط تبقى بعض الشخصيات معنا عقوداً، لأنها علّمتنا شيئاً عن أنفسنا.

الشجاعة الفنية لها ثمن. فحين قدّمت الفنانة الكبيرة الراحلة حياة الفهد مسلسل «أم هارون» واجهت موجة من النقد الحاد، وكاد الجدل يطغى على العمل نفسه. بادرت بمشاهدته سريعاً، أردت أن أحكم بعيداً عن الضجيج وأن تكون عيناي هما الحكم لا أصوات الآخرين.

ولم أرَ فيه ما أثار كل ذلك الهجوم، رأيت عملاً درامياً غير مألوف وطرحاً جريئاً يتناول إنسانيتنا المشتركة. الناس تخشى ما لا تعرفه، وتنتقد ما يخرج عن المألوف قبل أن تمنح نفسها فرصة الفهم. الفنان الشجاع يعرف أن الجمهور لا يصفق دائماً في البداية، ويمضي رغم ذلك.

لهذا حين يرحل فنان أحببته تحزن حزناً عميقاً، ليس على الشخص الذي لم تقابله، تحزن على جزء من نفسك عاش معه.

من يستحق لقب الفنان لا يمثل ولا يغني فحسب، يمنحك نسخة من ذاتك لم تكن لتجدها لولاه. نحن مدينون لهم بأكثر مما ندرك، بضحكة في يوم ثقيل، بدمعة طهّرت شيئاً بداخلنا، بأغنية حملت عنا ما لم نستطع قوله.

وحين تطفأ شاشته للأبد لا يرحل كل شيء، صوته يبقى في ذاكرتنا، وأثره يبقى في أرواحنا، وما زرعه فينا يبقى حتى بعد أن نرحل نحن. هذا هو الخلود، وهذا وحده يكفي.

rajabnabeela@gmail.com